

﴿ تنأهي الثراء ﴾

لقد ألح هذا الثراء على بعض الناس إلحاحاً شديداً حتى قضى على بعض الناس بالإلحاح في الكلام عنه وذكر تأثيره في نفوس أصحابه فمنهم من تعتمد ذكر الغنى مجرداً للدلالة عليه وعلى مقدار المديّة أو الحرية التي أعانت على الوصول إليه ومنهم من تعتمد ذكر تأثيره بالقياس إلى مقداره لدى أصحابه ومبلغ انتفاعهم منه وطرق انفاقه وهو ما ذكرنا منه شيئاً ليس بالقليل في هذه المجلة ولا بأس من ذكره كلما عرض الحديث عنه لأن الغنى حلو محبوب وهو المسك ما كررته يتضوع

ولقد تعرضت إحدى الكاتبات الأميريكيات إلى ذكر الغنى الفاحش فقالت عنه قولاً حسناً تقصد به تعزية الفقير من جهة حتى لا يتوهمه كما يوهّم ظاهره والدلالة على وقعه في نفوس أصحابه من جهة أخرى للعلم بأنهم ليسوا كما يظن الناس بهم . ولقد كان في جملة حديثها عنهم قولها أن كثيرين من الناس يغبطون صاحب الملايين ويتمنون لو يكونون في مثل حالته ولكنها تعجب للفقير صاحب الضحّة والعقل كيف يغبط غيره لكونه لا يملك إلا المال مجرداً في حين هو بتجرده لا حرازه يتجرد من كثير غيره مما هو في الحقيقة ولدى الحسّ أجل من الغنى بكثير ثم وصفت صاحب الملايين فقالت أن ملائينه أشبه بسور ضخّم معقود حواليه وقد سد عليه الوصول إلى غرف السعادة المحيطة به حتى لا يهتدي منها بسبيل وعدا هذا فإن صاحب الملايين قد دقت حواسه بملائينه جداً حتى اشتبهت لديه الحقائق

واختلطت بالاباطيل فهو لا يثق باحد ولو كان ثقة ولا يصدق شيئاً ولو كان
محسوساً معقولاً ثم هو يريد ان يكون محروساً من كل جانب من جوانبه وهذا
مستحيل ولذلك لابد ان يكون له من جانب ضعيف يدرك ضعفه سواء فلا
ينفك عن اذيته به حتى انه لو دله احد على هذا الجانب الضعيف لما صدقه
بل انه يغضب كثيراً اذا دله عليه ولذلك فهو يتمادى بضعفه ويتمادى وقع
الاذى عليه

ثم انه عديم الثقة باهل المنة ولو بلغوا ما بلغوا من الاخلاص وبرودة
الصدر وذلك لافراط ظنونه بالسؤ حتى لا عمدة له على احد فاذا جاءه
المخلص الشفيق الذي يخلصه الود والنصيحة لا شيء الا لانه طبع على
الاخلاص فهو لا يصدق بل يعتقد انه يحبه من اجل غناه وانه لو كان
فقيراً لا يتعد عنه وبذلك يتعد عنه الشفيق ولا يحوم عليه الا اهل المطامع
يتمصونه كالاسفنج من كل ناحية وهو فيما بينهم معذب مهموم واذا ابتعد
عنهم وانا هم كان على عذاب اشد بل اي عذاب اشد من ان يكون الانسان
بين كل الناس وهو كأنه ليس بين احد. ثم ان هؤلاء الناس الذين يحيطون
به كما يحيط النحل بالزهر يجنيه من كل ناحية انما هم يفعلون ذلك وضماؤهم
مستريحة لانهم يجدون ماله منهلاً سائغاً ورزقاً حلالاً وذلك لانه مفرط
الغنى. واذا كان الغني المعتدل يعد فريسة محملة لكل صائد فاذا يكون الظن
بالغني المفرط الذي جاءه المال على اكثر من مقدار عمره وقوته وعقله. ثم
ان افراط الغنى مما يمني صاحبه بالجبن والضعف فتراه مع قوة غناه وهو
ضعيف جداً عن مقاومة سواء والمدافعة عن كرامة نفسه لان الانسان
وحده ضعيف وهو قد توحد لفراط ظنونه واتهامه فمن اين تجيئه القوة من

سواه . وانه من اجل هذا يقولون ان صاحب الملايين ليس له من ملايئنه
 الا هي بعينها واما تأثيرها المظنون فلا تأثر له
 على انه لا ينكر ان للفنى قوة هائلة ولكن تلك الملايين قد سدت على
 صاحبها مذاهبه حتى لم تعد له بملايئنه قوة ولا له بها لذة ونعيم لان الانسان
 انما ينعم اولا بتنى الشيء ثم ينعم ثانياً بسعيه اليه وينعم ثالثاً بحصوله عليه واما
 صاحب الملايين فلا يتنى لينعم ولا يسعى لينعم وانما هو يحصل على الشيء في
 ساعة ارادته وحينها وبذلك يتمتع عليه النعيم الاولان حتى لا يمس من
 الثالث بشيء وعدا هذا فان تنى الشيء انما يحدث من صعوبته فلو امتنعت
 صعوبته لا تمتنع تمنيه ومتى كان الشيء غير صعب كان غير متنى ومشتهى
 وبهذا تتفنى الارادة من هذا القليل جملةً وهناك ضيق المذاهب وهناك
 عذاب النفس الشديد . ثم ان الناس اذا كانوا يقولون ان الذي تملكه اليد
 يزهد فيه الخاطر فانما يريدون انه لا لذة فيه مع امكانه . وانظر الى صاحب
 الملايين اي شيء لا يملكه واي شيء يكون نعيمه فيه بل ما اصدق قول
 التهامي في مثل هذه الحال

اهتز عند تنى وصلها طرباً ورب امنية احلى من الظفر
 ويشير اليها البحترى ايضاً بقوله

ليس يحلو وجودك الشيء تبغيه التماساً حتى يعز طلابه
 ولقد يقال ان الغنى يأكل ويلبس ويشرب على موجب كل الذي يشتهيه
 وان ذلك سعادة ولكن الحقيقة انها ليست سعادة كما يظن لانه لا يستطيع
 ان يأكل كل يوم الف كبش وان يلبس الف طاق فوق طاق كما قال اليازجي
 بل هو يستطيع ان يكون ذا خدم وموائد كثيرة يأكلون عليها وينعمون

بها اكثر مما ينعم ولكن هذه الحالة موجودة شائعة وقد يحصل عليها الفقير
بفر نكين كل يوم لانه يذهب الى المطعم الكبير الحاوي لعشرات المآت
من الجالسين والقائمين والماشين فيأكل بينهم ويلهو بمختلف احاديثهم
واشاكلهم فيصير بذلك احسن من صاحب الملايين مع انه ليس الا صاحب
فر نكين فقط فضلا عن انه يأكل اجود اكل صحي متمتع كل النقد ومصنوع
بايدي امهر الطهارة

على ان صاحب الملايين يستطيع ان يوجد هذه الحالة بملايينه فيسر
ولكن السرور اذا كان ناقصاً فهو غير سرور وهو اذا كان يستطيع ان
يوجد كل هذا فان يجد لذة الثقة بغيره وسرور الاعتماد على سواء ومحبة
غيره له المحبة الخالصة وقد ضربت تلك الملايين بينه وبين كل ذلك سداً
منيعاً انه لا يستطيعه وقد فاتته من حقيقة السرور قسط عظيم . بل انه لو
فرض وتم له من كل ذلك كل ما يشتهي فان السرور المظنون انه يأتي على
مقدار تلك الملايين لا يأتي منه شيء يذكر بالقياس اليها لان عقل الانسان
واعصابه وكل مبلغ احتماله وطوقه انما هي اضعف جداً من ان تحتل مسرة
تلك الملايين وبذلك يكون افراطها داعياً الى عكس الحالة اذ يكون مستطيعاً
تحمل كل اعبائها وما تجيء به من العذاب احياناً على مبلغ مقدارها
لان للسرور حداً يقف عنده واما الغم فلا حد له الا الموت وهو احدي
الراحتين

ثم ان الغني يستطيع ان يكون مسروراً بالعطاء والاحسان ومؤساة
الناس اذ هي مما يوجب حقيقة المسرة ولكن سروره هذا يكون دائماً
منقصاً عليه لان نفسه تكون مناجية اياه بان الناس قد اسندوا بره الى

رغبته في حفظ كرامته او حفظ نفس ماله فيكون كانه عمل كثيرا ولم ينل
مما عمل الا قليلا

وعلى الجملة فان الغني المفرط معذب دون ريب وهو على الغالب يعيش
سقيما مهموما جبانا لان الانسان بنفسه لا يعد شيئا وهو مدني بالطبع كما
يقولون ولذلك لا بد له من اعوان ولا بد للاعوان من الاخلاص المحض
والحبة الصادقة وهذا مستحيل مع الغنى ليس لانه لا يوجد بين الناس
محبون مخلصون بل لان الغني نفسه كما قلنا لا يصدق احداً يحبه محبة اكيدة
وبذلك يكون كانه ينفي المحبة الصادقة نفياً لان اولئك المخلصين يردون الى
مبغضين او مدلسين اذا كان لا بد لهم من التقرب اليه واظهار العطف
عليه وانه اذا كان الانسان بلا اصدقاء يعد معذبا حقيقة وكانت الجنة لا
تداس بلا ناس كما تقول العامة فان الغني المفرط معذب بلا شك ومن كان
من القراء لا يصدق ذلك فليجرب

